حكايات عقلاء المجانين الرؤية الفكرية والتشكيل الفني

م.م. فاضل هادي حسن
المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية

الملخص :

لقد كان لتحول المجتمع في العصر العباسي من الفطرة الى العقل اثر في وضوح البعد الفلسفي الذي تحمله حكايات عقلاء المجانين، تلك الحكايات التي حددت جانباً اجتماعياً مهماً في ذلك العصر وهو الجنون القائم على اساس العلم والثقافة والتلاقح الفكري الواسع من جهة وعلى اساس تحقيق العدالة الاجتماعية من جهة اخرى، فنجد اغلبها مبطن بنقد الواقع الاجتماعي، وهذا مايؤكد انها كانت تصدر عن شخصيات ذات قدرات أدبية ونقدية، كما أنَّها صوّرت البديهية والارتجال في الجانب الأدبي لاسيما قول الشعر وعبّرت عن الروح الأدبية والجو الثقافي الذي كان سائداً في العصر العباسي، وقد تبيّن من خلال البحث أنّها كانت تحمل مضامين فكرية تمثّل رموزاً يمكن من خلالها النظر الى جزء من الماضي والإفادة منه، واتّضح أنَّ اكثرها قائم على الجانب الديني متمثلاً بالزهد والتصوف والحكم والمواعظ، وظهر انَّ الواقع الذي يعيشه المجنون والبعد الروحي الذي يسعى من خلاله الابتعاد عن هذا الواقع قد جعله يعيش التناقض وهذا كان واضحا في البناء الفني للحكايات .

الكلمات المفتاحية: (حكايات، عقلاء، مجانين)

المقدّمة

لعلَّ مِن نافلةِ القول التأكيدُ على أنَّ العنوان يشكِّلُ عتبةً نصيةً تشفُّ عما ورائها – اختزالاً أو رمزاً– ألّا اننَّا سنتوقف قليلاً عند هذا العنوان –عقلاء المجانين– لما يمثّله من اشكالية لا يستمرئُ العقلُ تمريرها، وتكمنُ هذه الاشكاليةُ في الجمع بين النقيضين. إلّا انّ هذا العنوانُ الصادمُ يحملُ في كيانهِ حلَّ رموز طلاسمهِ فلفظ (عقلاء) غير المعرف، ببنائه الصرفي (فعلاء) يدلُّ على الاجتزاء من كل، وهم (المجانين) ذي البنية الصرفية المُعرَّفةِ (المفاعيل) فهؤلاء العقلاء هم الصفوةُ المختارةُ من الكل (المجانين)، فضلاً عن أنّ تقديم العقلاء يؤكد أنَّ لهم مزية تفضلهم على جميع المجانين. وقد فطن لهذا الأمر من ألَّف في

حكاياتهم، فقد حاول النيسابوري (ت406هـ) في مقدمة كتابه عقلاء المجانين أنْ يوضح ضروب المجانين[1]، كي يتم التفريق بين حكايات هؤلاء العقلاء المبرزين على غيرهم بالحكمةِ والفطنةِ والقريحة، وبين حكايات الحمقى والمجانين التي تحاول التهجين بالمجنون والانتقاص من (خلقهِ وخُلُقه وقوله وفعله) على الرغم من اشتراك هاتين الفئتين في تجاوز الحدود المعتادة . ويؤكد ما نذهب اليه تعريف ابن الجوزي (ت 598هـ) للمجنون بقوله:((إنَّه عبارةٌ عن الخلل في الوسيلةِ، والمقصود جميعاً))[2] وهو ما لا نلحظه في حكايات العقلاء؛ بل نلحظ ما يناقضه تماماً .

وبعد ذلك يحاول البحث أنْ يجيب عن سؤالٍ جوهري، يتعلق باختيار هذه الحكايات للدرس والتحليل وتكمن الاجابة في طريقة بناء هذه الحكايات وما تحمله من مضامين فكرية تمثل رموزاً يمكن من خلالها النظر إلى جزءٍ من الماضي والافادة منه في فهم هويتنا الحاضرة فضلاً عما أثارته المادة الوافرة من حكاياتهم وتصنيف المؤلفات الخاصة بها فقد كتب ابو محمد الحسن بن اسماعيل الضراب (ت392هـ) رسالةً خاصةً بعنوان (عقلاء المجانين والموسوسين)، وكتب النيسابوري (ت406هـ) كتاباً بعنوان (عقلاء المجانين) فضلاً عن تخصيص الفصول والأبواب في مؤلفات أخرى لهذه الفئة من الناس، وهي التي ستمثل المادة الخام التي يسعى البحث للتنقيب فيها، ونفض الغبار عنها .

المضامين الفكرية للحكايات :

لقد أسهم التلقي كثيراً في عملية التأليف والكتابة من خلال سماع ما يهزُّ المشاعر ويلبي الحاجات الذوقية، وقد أدرك المؤلفون العرب هذه الرغبة فسعوا الى تلبية هذه الحاجات من خلال هذا الكم الهائل من الأخبار والحكايات حول عقلاء المجانين، وإنْ بدت هذه الأخبار والحكايات مصطنعة _ في جلها _ للناقد والدارس؛ ولهذا سيغدو الحديث حول حقيقتها أو مجازها غير ذي جدوى، ومن هنا جرى التركيز كثيراً حول أهم المضامين التي تضمنتها هذه الحكايات والتي حاول الأدباءُ بثها في كتبهم ملائمة للذوق العربي في العصر العباسي، من خلال محاور أربعة وهي :

المحور الديني :

إنّ نظرةً في حكايات عقلاء المجانين توضحُ بشكلٍ جلي المعاني الدينية والعقائدية، حتى لتبدو هذه الحكايات مسرحاً منوّعَ المشاهدِ في عرض الآراء الدينية، والمذاهب المختلفة والفتاوى، والتعصب المذهبي وغيرها. وهو يصور لنا ما وصلت اليه الحياةُ الفكرية بعد انتشار المناظرات الفلسفية والجدل الكلامي في العصر العباسي خصوصاً .

وقد سعى مؤلف هذه الحكايات الى توظيف (عقلاء المجانين) للتعبير عن هذه المسائل المختلفة في الدين والعقيدة؛ لاسباب يتعلق بعضها بمكانةِ هؤلاء الذين رُفع عنهم القلم، وزكّاهم الدين، فقد أستقر في الأذهان أنَّ لهم مكانةً هي أرقى من مكانةِ الانسانِ العادي، فهم الموهوبون الناطقون بالحكمة العالمونَ بما في بطون الغيب كما يتضح من حكاياتهم[3] ولبروز هذا المحور بشكلٍ لافتٍ سنتوقف عند بعضٍ من امثلتهِ والتي تمثل إنموذجاً لتلك الدلالات الدينية :

أ – الزهد والتصوف :

تثيرُ قضية ارتباط التصوف بعقلاء المجانين مسألةً جديرةً بالتأمل، إذ يشكّل جانب الزهد والتصوف منبعاً ثراً في هذه الحكايات، حتى انَّه ليطغى على غيره من الموضوعات. ويكمن سببُ هذا الارتباط – في رأينا – الى اشتراك المتصوفة وعقلاء المجانين في قضيةٍ مهمةٍ، وهي انهم جميعاً يعيشون بأرواحهم لا بأجسامهم، وقلوبهم لا عقولهم فالتصوف ((حالةٌ وجدانيةٌ يتذوق فيها السالكون الخاشعون لذة التقرب الروحي من الله ... وهي حالةٌ يشرقُ فيها قبسٌ من نور الهداية الربانية على قلوبهم فيهديها اليقين))[4] وهو ما أكده أحد المجانين بقوله: ((أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب))[5] والقلب هنا كناية عن العقل . وقال آخر: ((إنّ أهل البطالة إذا نظروا الى أهل محبة الله سمّوهم مجانين))[6] ولهذا فهم جميعاً منفردون معزولون وكأنهم بذلك يعيشون في عالمٍ آخر. وفي قول الجاحظ ما يؤكد ذلك: ((والعِبادةُ لا تُذَلِّهُ ولا تورثُ البَلَه إلّا لمن آثر الوحدةَ وتَرك معاملةَ الناس، ومُجالَسةَ أهلِ المعرفة ...))[7]

ويعود السبب في كثرة هذه الحكايات إلى أنّ من روى هذه الحكايات هم من الأعلام البارزين في التصوف، أمثال (ذو النون المصري) و(الشبلي) و (عطاء السليمي) وغيرهم.

وإذا كانت بعض تلك الحكايات قد صدرت عن أناسٍ هم من مجانين المتصوفة أمثال (سمنون الصوفي) فان قصصاً أخرى قد جرى نسبتها الى مجانين يشتركون مع الصوفية في أنهم يتشابهون جميعاً في الابتعاد عن اللذائذ والشهوات والزهد في الحياة. وهو ما ينسجم تماماً مع الغرض الديني الذي يرمي اليه هؤلاء المؤلفون .

ويشكّل اللفظ أولى الاشارات التي تؤكد هذا الجانب، فهؤلاء المجانين ينطقون بألفاظٍ هي مما يخصُّ المعجم اللفظي للرجل الصوفي، كالعشق، والشوق، والتوكل وغيرها كما يتضح لنا في هذه الحكاية: ((قال عطاءُ السليمي: قدمتُ الكوفةَ في بعض تجارةٍ لي،

فأزف بي العيدُ، وصنعتُ شيئاً من عصيدةٍ، وجلستُ على باب الدار التمس من يأكلها معي، فإذا أنا بعُليان المجنون، فقلتُ: عُليان؟ فقال: عطاءٌ؟ فقلتُ: عطاءٌ؛ قال: السليميّ؟ قلتُ: السليمي ؟ قال: ما أقدمَكَ الى بلدتنا يا غريبُ؟ قلتُ: التجارةُ؛ وقد اصطنعتُ شيئاً من عصيدةٍ، فأنا قاعدٌ على باب الدار، ألتمسُ من يدخلُ فيأكلها معي. قال: فدخل، فوضعتها بين يديه؛ فقال: شلها، فإنَّ أعضائي تتطرفُ أنْ تأكل من هذا شيئاً. قال: ثم قال لي: أين أنت عن فالوذج العارفين ؟ قلتُ: وما هو ؟ قال : تأخذ قندَ الصفاءِ، وزيتَ البهاءِ، وزعفرانَ الرضا، ونشاء المعرفةِ، فتذيبه بماء الحياةِ، ثم تنصب ديكدان القلق، وترقبُ طنجير الملق، حتى يرغي رغاء الصبر، ويزبد زبد التوكل، ثم تضربه باسطام الهيبة، وتوقدُ تحته قصبَ الشوق، حتى يشتعل بنار الهوى؛ فإذا فرغت منه بسطته على صحائف قُربِ الانس، حتى يضربه نسيم الحياة؛ فإذا اكلت منه أول لقمةٍ، هاج ألم الضمير إلى مُهيّجها، وباحت الأنفس بما فيها، وبكت ببكاء من يبكيها، شوقاً إلى من يؤنسها ويُحييها...))[8] فهذا المجنونُ يحاول من خلال هذه الأكلة الروحية، أن ينشأ نصّاً جديداً، هو نص العارفين أو المتصوفة عبر إنشاء مجازات تجمع بين الأشياء المادية والمعنوية والتي تحيلُ بدورها الى ثنائية المادة والروح، أو الحسي والمجرد .

ولا يخفى أنَّ الرمز والاشارة والتلميح والإيماء هي من الوسائل التي برع وابدع فيها الصوفية لتوكيد خصوصيتهم، وكل ذلك نجد له مصاديق في حكايات عقلاء المجانين ((...حدثنا خلف بن عمر الصوفي قال: سمعتُ ابا زيدٍ يقول: جنني بي فمتٌ ثم جنني بي فعشتُ، ثم جنني عني وعنه فغبتُ ثم أوقفني في درجة الصحو وسألني عن احوالي الثلاث فقلت: الجنونُ بي فناء، والجنون بك بقاء، والجنون عني وعنك ضناء، وأنت في كل الأحوال اولى بنا))[9] وقد تصاغ العبارة الصوفية على شكل بيت شعري ((... ابراهيم بن فاتك يقول: قلت لسمنون: كيف كنت البارحة ؟ فقال :

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا لا كنتُ وإن كنتُ أدري كيف لم أَكُنِ))[10]

وقد تصرحُ الحكايةُ بأحوال الصوفية كمبدأ الحلول في الذات العلية كما يتضح في هذه الحكاية ((انشدنا الحاكم قال: انشدنا ابراهيم قال: انشدنا سمنون :

أُكْثِرُ الذِّكْرَ لا لأنّيَ أنسا ك ولكنْ بذاك يجري لساني
أنتَ في النّفسِ والجوانحِ والفِكْـــ ـرِ وأنت المنى وفوق الأماني
كلُّ شيءٍ أراه فيك بعينٍ صِرْتُ مستغنياً بها عن عياشي
فإذا غِبْتَ عن عياني أبْصر تُكَ مني بحيثُ كلُّ مكانِ))[11]

واذا كان مبدأ التخلي والتحلي من مبادئ الصوفية ((أي تخلية القلب من كل شيء غير الله وتحليته بعد هذا التخلي به – فلم يعد يحب سواه))[12] فإنَّ هذا المبدأ يتجلّى في حكاياتهم بشكل واضح كما تصوره لنا هذه الحكاية: ((حدثنا محمد بن المبارك الصوري قال: صعدتُ جبل لبنان فإذا برجلٍ عليه جبةٌ من صوف مكتوبٌ عليها: لا تباع ولا توهب، قد ائتزر بمئزر الخشوع، وارتدى برداء الورع، وتعمم بعمامة التوكل. فلما رآني استخفي وراء شجرة بلوط فناشدته الله ان يظهر فظهر، فقلت: كيف تصبر على الوحدة في هذا القفار؟ فضحك وأنشأ يقول:

يا حبيب القلوب من لي سواكا ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا
أنت سُؤْلي ومُنْيَتي وسروري قد أبى القلب أن يحبّ سواكا
يا مُرادي وسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سُؤْلي من الجنان نعيماً غير أني أريدها لأراكا))[13]

إذ ليخيل للسامع أو القارئ ان هذا النص لرابعة العدوية التي هامت حباً في الله ﷻ ، لقد تم النظر الى هؤلاء المجانين على انهم الصفوة المختارة التي اصطفاها الله ﷻ ولذلك فهم أصحاب كرامات، وقدرات عجيبة في تفسير الرؤى والاحلام ، والتنبؤ بالمستقبل وغير ذلك، ولان المقام لا يسمح بذكر كل ذلك سنختم الحديث بهذه الحكاية التي تصور لنا أحدى كرامات عليان: ((قال علي بن محمد الكناني: كان عليان المجنون بمكة فضربه الصبيان وضربه بعض الفساق بسكين فقطر منه الدم، فكنت انظر الى الدم يقطر على الارض ويتصور كتابة: ((الله)) فنظرت في ذلك تسعة عشر موضعاً))[14]

ب- الحكم والمواعظ الدينية :

يعرفُ كل من روى لعقلاء المجانين الاثر الذي يمكن ان تحدثه حكاياتهم، فمواعظ المجانين وحكمهم هي جواهر ثمينة تجود بها افواههم، فيلتقطها الناس برغبة حقيقية واستعدادٍ كامل، ومن هنا فهم يوصفون بانهم أهل حكمة ومعرفة[15]

ولِأنَّ المواعظ هي مما يتصل بالإرشاد والتربية الروحية، فإنَّ الطابع الغالب عليها هو طابعُ الاخلاق والتهذيب الديني المستمد من العقيدة الاسلامية ومعانيها كالخوف من الله تعالى، والاتعاظ من الموت، ونبذ الرياء والنفاق، والتأكيد على إفشاء السلام والعفو عن الناس وغيرها كثير . وقد عَرَف الرواةُ استثمار هذه المسائل جيداً، فهم محتاجون اليها في مجالس الوعظ والارشاد بعد ان علمنا ان منهم الزهاد والعباد واصحاب طرقٍ صوفية، فهم أبداً يحتاجون الى أمثلةٍ من التأثير والاقناع، وسيكون هؤلاء المجانين هم الوسيلة لذلك

فمن أمثلة التأكيد على عدم تتبع عيوب الناس ما ترويه لنا هذه الحكاية: ((قال عطاء: رأيتُ سعدون يتفلى ذات يومٍ في الشمس فانكشفت عورتهُ فقلتُ له: استر يا اخا الجهل، فقال: أمالك مثلها؟ فأمنتهُ . ثم مر بي يوماً وأنا آكل رماناً في السوق، فعرّك أذني وقال: من الجاهل أنا أم أنت ؟ ثم أنشأ يقول :

أرى كل إنسانٍ يرى عيبَ غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير ما تخفي عليه عيوبُه ويبدو العيب الذي هو بأخيه
وكيف أرى عيباً وعيبيَ ظاهرٌ وما يعرف السوءاتِ غيرُ سفيه))[16]

واذا كان الرواة في هذه الحكاية قد كشفوا عورة سعدون لهذا الغرض الاخلاقي الوعظي، فهم في رواية أخرى يجعلوه مستنكراً لهذا الفعل الاخلاقي المشين، لان الحكمة فيها تؤكد الاحتشامَ وخشيةَ الله عند دخول الحمام : ((... عن عبيد الله الكاتب الهاشمي، وكان ظريفاً أديباً، قال دخلت الحمام بلا مئزر وسعدون المجنون قاعدٌ في زاوية فلما بصر بي قال: يا غبي أين ذهب حياؤك وأدبك ؟ ثم أنشأ يقول :

أقول وفي قولي بلاغٌ وحكمةٌ وما قلتُ قولاً جئتُ فيه بمنكر
ألا يا عباد الله خافوا إلهكم ولا تدخلوا الحمّام إلّا بمئزرِ))[17]

وتأتي بعض الحكايات للتأكيد على أهمية تحية الاسلام، فهي لا تضر قائليها بل هي تحيةٌ مبرورة لا يتحمل قائلها وزراً: ((عن اسماعيل بن عطاء العطار قال: مررتُ بسعدون المجنون فلم أسلم عليه، فنظر اليّ وأنشأ يقول :

يا ذا الذي ترك السلام تعمّداً ليس السلام بضائرٍ مَن سلّما
إنّ السّلام تحيةٌ مبرورةٌ ليست تحمّل قائليها مأثما))[18]

وليس ثمة مكانٌ أكثر عظةً وعبرةً من القبور، ولهذا يستغل وجود بعض المجانين في هذه الأماكن الموحشة لتذكير الناس بحياة القبر او البرزخ كما في حكاية حيان بن حنتم: ((قال عطاء: ومررتُ به يوماً في مقابر البصرة، وهو واقفٌ على قبرٍ يخاطبه، فقلتُ له: يا حيان، من تخاطب؟ قال: صاحب هذا القبر، كان صديقي ورفيقي. قلتُ: وما تقول ؟ قال: أقول :

يا صاحبَ القبرِ يا من كان يؤنسني وكان يكثر في الدنيا مواتاتي

قلتُ : وما أجابك ؟ قال : قال :

شُغلْتُ عنك بشيءٍ لستُ واصفَه من الهموم ولوعاتٍ وترحاتِ))[19]

ولكون المواعظ والحكم تحتاج الى جمهور يستمعُ اليها، فإنَّ هؤلاء المجانين يتم استدعاؤهم من القفار والقبور والصحارى والأماكن الخالية ليقفوا وسط الأسواق، ويمارسوا دور الخطباء والوعاظ، وكأن هؤلاء المجانين يتزودون في تلك الأماكن الخالية بزادهم الروحي ومن ثم ينقلوه الى عامة الناس المنشغلين بملاذ الحياة، واعمالهم: ((... عن أدريس بن عبد الرحمن قال: خرجتُ من الجامع بالبصرة راجعاً الى منزلي، اذ ببكار المجنون واقفٌ في وسط السوق وهو يقول: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))(البقرة:281) فلا يزال يقول في مربعة مربعة . فلما أفَلَتْ الشمسُ نادى ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)) (الطلاق:2-3) ثم أنشأ يقول :

ولَهِتْ قلوبُ العارفين بحبّهِ فتَباشَروا وتتابعوا الأعمال))[20]

فهذه الحكايات وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره تصور لنا هؤلاء الحكماء الواعظون بمظهر الطيف القدسي الذي يأتي نذيراً وداعياً بما كان يدعوا به الرسل والانبياء لهداية البشر وخلاصهم .

ج – الخلاف المذهبي والتعصب الديني :

لقد خضعت حكايات العقلاء كغيرها من النصوص النثرية في العصر العباسي للميول المذهبية، فكانت ترجماناً صادقاً للتوجهات الدينية والخلافات المذهبية . فقد تأتي الحكايات للتلميح بموقفٍ ذي مرجعية دينية، كما تؤكد ذلك بعض النوادر والاجوبة الطريفة، كما تروي هذه النادرة ((حضر بُهلولٌ مجلسَ قومٍ يتذاكرون الحديث فروَوا عن عائشة أنها قالت: لو أدركتُ ليلةَ القدْرِ ما سألتُ ربّي تعالى إلَّا العفوَ والعافية . فقال بُهلول: والظَّفرَ بعليٍّ يومَ الجمل))[21]

واذا كانت هذه الحكاية / النادرة تلمح الى موقف عائشة في معركة الجمل، ففي بعض الأحيان يكون التعبير صريحاً ومباشراً كما تصور لنا حكاية بهلول ((قال له قائلٌ: أتشتم فاطمة وتأخذ درهماً؟ فقال: لا، بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم))[22] وعندما روى النيسابوري هذه الحكاية زاد في آخرها ((... قالوا: لا. ثم ضرب جبهته بكفه وقال: أستغفر الله رحم الله عائشة، أشهد انها زوجة رسول الله في الجنة))[23]

وهذه الحكايات وغيرها إنَّما تؤكد بروز الاختلافات الدينية والمذهبية حول مسألة الخلافة الإسلامية وموقف الناس منها ((وبشكل عام فانّ النادرة الدينية في اعتمادها المرح

العقلي، والمفارقات الساخرة، إنَّما تحاول استغلال امكاناتها في مفاجأة العقل والمنطق، من خلال عرض القضايا الدينية المهمة بلبوسٍ طريف أو ساخر))[24]

ويتضح الخلاف العقائدي كثيراً من خلال ما تصوره المخرجات الثقافية الجادة، والتي تظهر المجنون مناظراً ومؤيداً مذهبه بنصوصٍ من القرآن الكريم، كما حدث مع سَلَمَة المجنون ((قال له الحسن: يا سلمة. قال: لبيك. قال: تؤمن بالمعاد؟ ففتح سلمة عينيه وغضب وقال: نعم يا حسن، كأني أنظر الى القيامة وقد قامت، وإلى كرسي القضاء وقد وضع كما شاء الله، وإلى ...ولكن يا حسن اتق الله ولا ترُدَّ امر الله. فقال له الحسن: وكيف أردُّ أمر الله؟ قال: إنَّكم معاشر الشيعة تدفعون انَّ ابا بكر وعمر اماما عدلٍ ، وقد قال الله ﷻ في كتابه: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ))(النحل: 90) فتولية ابي بكر وعمر من عدل الله الذي أمر به، ثم تزعم أنّ علياً أولى بالامر منهما، فان لقيت الله بهذه المقالة لقيته وانت من الخاسرين. فقال الحسن: ليس هذه مقالة اهل بيتك. قال: لكنها مقالتي يا حسن، أشتفيتَ مني فاشتفيتُ منك. قال الله: ((وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ))(النحل: 126)))[25] ويبدو انَّ النيسابوري كان من مشايعي ابي بكر وعمر وعثمان لوجود الادلة الكثيرة على ذلك في كتابه، بل هو يأتي ببعض الحكايات التي تؤكد أنَّ جنون البعض كان سببه بغض ابي بكر وعمر، وأنَّ عامة الركب الذين شاركوا في قتل عثمان قد جنّوا [26]

وتصور لنا بعض الحكايات المسائل العقائدية التي تتصل بالخلافات المذهبية واحداث الفتن كما في قضية (خلق القرآن) التي أخذت بعداً كبيراً في هذا العصر ((أُدخِلَ عبادة أيام المحنة على الواثق والناسُ يُضربون ويُقتلون في الامتحان، قال: فقلتُ: والله لئن أمتحنني قتلني فبدأته فقلت: اعظم الله اجرك أيها الخليفة. قال: فيمن؟ قلتُ: في القرآن. قال: ويحك، والقرآن يموت؟ قلتُ: نعم، أليس كلُ مخلوقٍ يموت ؟ فإذا مات القرآن في شعبان فمن يصلي بالناس في رمضان؟ فقال: اخرجوه فإنَّه مجنون))[27] فقد خلص هذا المجنون نفسه بفطنته وحسن تخلصه.

وفي مجتمع كالمجتمع العباسي يعجُّ بمختلف الفرق والمذاهب، كان لا بدَّ من وجود مساحةٍ نقديةٍ لهذا التعدد المذهبي، وأبداء الآراء فيه، كما يتضح لنا في بعض الحكايات: ((حدثنا بكار بن علي قال: قلتُ لابي سعيد الضبعي ذات يوم: كيف اصبحت يا أبا سعيد؟ قال: أصبحتُ مؤمناً بالله لا أقول بقول القدرية ولا بقول المرجئة ولا بقول الجهمية والرافضة. فقلتُ في نفسي: قد خولط. ثم قلت يا أبا سعيد، وما قول القدرية والمرجئة

والجهمية والرافضة؟ فقال: أما القدرية فزعمت أنَّ العبد لو لقي الله بمثل حبة خردل من المعاصي مُصرَّاً عليها كان في نارِ جهنم خالداً. وقالت المرجئة: من لقي الله بشهادةِ الَّا إله إلَّا الله فهو في الجنة وإنْ زنى وإنْ سرق. وقالت الجهمية: عِلمُ الله مخلوق فَكَفَرت بالخالق. وقالت الرافضة: بعث الله جبريل الى علي فغلط فأتى محمداً، فَكَفَرت بالله وجحدت بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم. قلتُ : فما تقول أنت؟ قال: أقولُ: خَلَقَ اللهُ الخلقَ لما شاء ليس لما يشاؤون، فمن عذّبَ منهم عذَّبه غير ظالمٍ، ومن رحمه فرحمته وسعت كل شيء، عز وجل ان يقال له: لمَ وكيف، وقد قال الله في كتابه ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))(الأنبياء : 23)...))[28]

لقد أقتنصت حكايات عقلاء المجانين جانباً مهماً في حياة المجتمع الاسلامي في العصر العباسي، فقد أستثمر الكتاب هذا البناء البسيط للتعبير عن قضايا خطيرة تتعلق بالعقيدة والاتجاهات المذهبية المختلفة .

2- المحور الأدبي :

تبرزُ القيمةُ الادبيةُ في حكايات عقلاء المجانين بشكلٍ واضحٍ عبرَ جوانب كثيرة تحاولُ ابراز المقدرة البيانية لعقلاء المجانين. فلم يعد الخبالُ خطاباً انتقاصياً ساخراً يستهدفُ التهجين بشخص المجنون بل هو خطابٌ ذو محمولاتٍ معرفيةٍ كثيرةٍ، يصدرُ عن شخصيات ذات قدراتٍ أدبيةٍ ونقديةٍ وامتاعية، فهذا أبو حية النميري ((كان أشعرَ الناس))[29] وجعيفران ((شاعرٌ ظريفٌ)) [30]وأبو الخطاب ((ينطقُ بالحكمةِ ويقولُ الشعر))[31] وبهلول ((له مزيةٌ على أضرابه من المجانين بتحبير الشعر وتدقيق المعنى في كل ضرب منه))[32] وقد ((كان ابن ابي مالك عالماً بالشعر)[33] وكان سلمة الموصلي ((أديباً ظريفاً))[34] قبل ان يجن؛ ولهذا ترِدُ الحكاياتُ لتصوير قدرة المجنون واجادته في قول الشعر على البديهة والارتجال، كما في هذه الحكاية التي يوردها الجاحظ بقوله: ((وأمَّا جعيفران الموسوس الشاعر ، فشهدتُ رجلاً اعطاهُ درهماً وقال له: قل شعراً على الجيم فأنشأ يقول :

عادنـــي الهمُّ فاعتلـــجْ كُلُّ هَمٍّ الى فَرَجْ
سَلِّ عنك الهمومَ بالكا سِ بالرَّاحِ تنفرجْ))[35]

ويَعدُّ الجواب البليغ المدهش من أبرز ما يُنتظر سماعه من المجنون. ولهذا فإنَّ ((عناية المعتنين لا تخص ذات المجنون باعتباره مجنوناً بقدرِ ما تتجه الى صفتهِ باعتباره أديباً))[36] ومن ذلك ما روي عن جعيفران الموسوس ((... عن محمد بن جعفر الدينوري

قال: لقيتُ جعيفران وقد جاء الى علي بن اسماعيل الهاشمي الملقب بالطارمة، وكان له هيئة، فوقف بين يديه وقال: اعطني درهماً، فزبره الغلمان ونحُّوه فقال :

قد زعمَ الناسُ ولم يكْذِبوا أنَّك من غير بني هاشم

فقال علي: فضحني والله، وهمَّ بقتله. ثم قال: يا جعيفران، ما تُريد؟ قال: درهماً صحيحاً ورغيف حوّاري وفالوذجاً، فجيء بها فقعد وأكله اجمع وأخذ الدرهم وقال:

فكذَّب الله أحاديثهم يا هاشميّ الأصل من آدمِ!))[37]

وقد يكون الجوابُ البليغُ مؤثراً عبر أستخدام أساليب البديع كما جاء في هذه الرواية: ((قال الفضل بن يحيى لجعيفران المجنون : لمَ لا تُصرِ اليَّ ؟ فقال: أنت بحرٌ ولا أحسن أن أسبح، فوصله بمال))[38] اذ أنّ التشبيه البليغ أسهم كثيراً في أستدرار أموال الفضل بن يحيى.

وكثيرةٌ هي الحكايات الملفّقة التي تحاولُ إبراز المجنون بمظهر المنادم الظريف والأديب الذكي اللوذعي، ذي البديهة الحاضرة، كما في حكايات البهلول، وجعيفران، وماني الموسوس[39] وتحاول بعض الحكايات أن تُظهر المجنون بمظهر الخبير الناقد الذي يصدر الحكم الفصل في بيتٍ شعري، أو معنىً أدبي، إذ ((لم يعد المجنون مجرد ممرور عادي يطارده الصبيان ... بل أضحى في مقام الشيخ الجليل الذي يرجى كلامه والناقد البصير الذي ينتظر حديثه))[40] كما يتضح لنا من هذه الحكاية ((... أنشد رجلٌ هَبَنَّقة القيسي :

أُهْجُرْ مَحَلَّ السّوءِ لا تُلْمِمْ به وإذا نَبا بِكَ مَنزِلٌ فَتَحَوَّلِ[41]

قال: هذا أحمق بيت قالته العرب ، وكيف يطيقُ اهل السجن النّقلة؟ هلّا قال:

إذا كنتَ في دارٍ يُهينُك أهلُها ولم تك مكبولاً بها فَتَحوَّلِ[42]

وهذا سهل بن أبي مالك الخزاعي له رأي في الشعر : ((فسأله رجل من أصحابنا: ما أجودُ الشعر؟ قال: ما لا يحجبه عن القلب حاجبٌ مثلُ قول جميل:

ألَا أَيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا أُسَائِلُكُمْ: هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ))[43]

فهذه الحكايات وغيرها الكثير في كتب الأدب هي مما يمكن أن يُعد في باب النقد الموضعي الجزئي الذي ساد العصر العباسي، في نقد الأشعار وإن جاءت بشكل حكاية مصطنعة

وإذا كانت جبة المجنون قد أضحت صحيفةً يكتبُ الكتاب ما شاؤوا عليها من الأشعار، فإنَّ لسانه وما ينطق به يمثل وسيلةً جيدةً لدى أصحاب اللغة والمهتمين بالغريب

وشرحه، أمثال الأصمعي الذي أستعار لسان (أبي السرندي) ليصنع أمامنا معجماً يشرح فيه بعض الألفاظ مثل (اليم، الحلوان، الدُّكاع، التّولة، الرّقة، ...) من خلال أبيات شعرية ضمن حكاية طويلة[44].

وهذا مجنون آخر هو (سلمة الموصلي) يشرح لنا الفرق بين معاني الألفاظ ((قال نعيم... قلت له ما الفرق بين الفِعال والفَعال. قال: الفِعال العيار في المصنوعات وهي عام، والفَعال في المكارم وهي خاص))[45]

وسواءٌ أكانت هذه الحكايات حقيقية أم مصطنعة فإنَّها جاءت لتعبّرَ عن الروح الأدبية والجو الثقافي الذي كان سائداً في العصر العباسي، فحاول إبرازها أمام المتلقي بشتى الوسائل .

3- المحور الاجتماعي :

ربما يكون الجنون من أكثر المواضيع التصاقاً بالواقع لما يختزله الجنون من طاقةٍ جاذبةٍ عبر ممارسة فعل الاغواء في القاعدة الشعبية الواسعة التي تمثل المجتمع. وبذا يمكن الاستناد الى مرجعية سيسيولوجية عريضة في فهم جوانب عديدة للوضع الثقافي المرتبط بالجنون ارتباط القفا بالوجه، والحقيقة بالقناع، وهو ما عبّر عنه ميشيل فوكو بقوله: ((إنَّ تاريخ الجنون هو الوجه الآخر لتاريخ العقل))[46] ويمكن في هذا الصدد الإفادة كثيراً من مقولة الجاحظ في أحد المجانين ((وأمَّا أبو ثيس الحاسب فإنَّ عقله ذهب بسبب تفكره في مسألة ...))[47] في أنَّ جنون البعض كان صورةً أو نتيجةً بارزةً لعصر العلم والثقافة والتلاقح الفكري الواسع وهو العصر العباسي، فلو أردنا ان نصوغ كلام الجاحظ بما يؤيد زعمنا لقلنا بأنَّ جنون هذا الرجل، هو جنون الحضارة والعصر، إذ إنّ طبيعة الحقبة الزمنية تحدد نوعية جنون الناس [48]

ويمكن أن يكون المتجان أو المتحامق مصداقاً آخر من خلال تصويره فئة مهمة من المجتمع، وهي فئة الأدباء والمثقفين، وهم يحتالون لطلب العيش بسبب فقرهم وحرمانهم كما يذكر النيسابوري بقوله: ((ومنهم من تحامق لينال غنىً . أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن ... كان عندنا رجلٌ عاقلٌ أديبٌ فهمٌ شاعرٌ يقال له عامرٌ، وكان مع أدبه محروماً محارفاً . فقال لي رجلٌ من أصحابي: إنَّ صديقك قد جُنَّ، فجعلت أطلبه حتى ظفرت به في بعض القرى والصبيان حوله يضحكون، فقلت له: يا عامر مذ كم صرت بهذه الحالة؟ فأنشأ يقول :

جَنّنتُ نفسي لكي أنال غنىً فالعقل في ذا الزمانِ حرمانُ

يا عاذلي لا تَلُمْ أخا حُمُقٍ يُضحَكُ منه، فالحمقُ ألوانُ)) [49]

وفي الحقيقة ان احتراف الجنون في هذه الحكاية يشبه كثيراً احتراف الكدية في مقامات الهمذاني (ت398هـ) فأبيات عامر المجنون لا تختلف عن أبيات أبي الفتح الاسكندري المتلون:

أنـــا أبـــو قلمـــون فـــي كـــل لون أكون
اختـــر مـــن الكســـب دوناً فـــإنَّ الدهـــر دُونُ
زجِّ الزمـــان بحمـــقٍ إنَّ الزمان زبونُ
لا تكذبـــنَّ بعقـــلٍ ما العقل إلَّا الجنون[50]

ويأتي خطاب الجنون معبّراً عن الضمير الجمعي احياناً عندما يبوح بما يختلج الذاكرة جمعية ناقداً ومستنكراً وموجهاً دون خوفٍ أو حرج، فصوت الجنون إنَّما هو ((شكل من اشكال انزياح وتجلي صوت المجتمع نفسه، مقولاً من خلال المجنون، بفعل خصوصيات اشكال الصراع، وطبيعة الوعاء الاجتماعي السياسي الذي أحتضنه))[51] فخصوصية الجنون وطبيعة المجنون يجعلانهما قناعاً يتحدث من خلاله المتحدثون؛ إذ انَّ ((خطاب الجنون، في أساسه ومن حيث وجوده، هو خطابُ الوجدانِ العام، وقد تم نحله للمجنون بنسبته اليه تخلصاً من تبعاته))[52] ولهذا لا نلحظ مطلقاً توافقاً بين هؤلاء المجانين وبين من يمثّل السلطة –الخليفة أو الوالي– فهذا (أبو نصر) المجنون يطلبُ من هارون أن يحقق العدالة الاجتماعية بين الناس كعمر بن الخطاب[53] ولا يتردد بهلول في نقده المباشر لهارون بقوله: ((أردد الحقَّ على أهله))[54] ويغمزه من طرف خفي أحياناً بحبه للمال واحتكاره[55]

وربما اتى النقد موجهاً لبطانة الخليفة وحجّابه المتملقين، كما تصوره هذه الحكاية: ((الفضل بن الربيع يقول: حججنا مع الرشيد فمرّ بالكوفة في طاق المحامل اذا ببهلول قاعدٌ يهذي ويلعب بالتراب، فابتدر اليه الخدمُ ليطردوه، فقام وقال للرشيد: فكيف ولو أقامك الله بين يديه، فسألك عن النقير والقطمير والفتيل؟ قال: فخنقته العبرة. فقال الحاجب: حسبك يا بهلول فقد أوجعت أمير المؤمنين فقال الرشيد: دعه، فقال بهلول: أنَّما أفسده أنت وأضرابك ...))[56]

ومن الحق القول بأنَّ هذه الحكايات وغيرها، على الرغم من كونها قد جاءت مبطّنةً، إلَّا أنَّها تمثل وسيلةً مهمةً لتحقيق العدالة الاجتماعية، وتقويم الاعوجاج الذي حلَّ بالدولة الاسلامية متمثلاً بأعلى الهرم فيها وهو شخص الخليفة أو الوالي .

4- المحور الفلسفي :

وبما أنَّ حكايات العقلاء هي حكايات أقوالٍ فقد أستُغلّت هذه الأقوالُ لتدخل دائرة الجدل الكلامي بما يتضمنه من استدلال منطقي وعقلي. فقد أظهرت بعض الحكايات المجنون وهو يخوضُ في أبرز قضايا علم الكلام، وهي المتعلقة بالجانب الديني والدفاع عن العقيدة، ويناظرُ أبرز الفرق الكلامية كالمعتزلة والمرجئة والقدرية وغيرها من الفرق التي أنبثقت من رحم الدين الاسلامي .

ويمثّلُ إنموذج المقامة المارستانية من مقامات بديع الزمان الهمذاني (ت 398هـ) مثالاً واضحاً في هذا الجانب ونحن نذكر هنا جزءاً منها يتعلقُ بمسألة الجبر والتفويض التي كانت من أبرز القضايا التي أعتنقتها المعتزلة، الذين ((نادوا بحرية الإرادة وسلطة الأنسان على أعماله))[57] وذلك عندما أنبرى أحد المجانين لعيسى بن هشام وأبي داود المتكلم قائلاً: ((من القوم لله أبوهم ؟ فقلت أنا عيسى بن هشام وهذا أبو داود المتكلم، فقال: العسكري؟ قلت نعم، فقال: شاهت الوجوه وأهلها إن الخيرة لله لا لعبده، والأمور بيد الله لا بيده. وأنتم –يا مجوس هذه الأمّة– تعيشون جبراً، وتموتون صبراً وتساقون الى المقدور قهراً، ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلُ الى مضاجعهم، أفلا تنصفون، إن كان الأمر كما تصفون...)) [58] .

وعلى الرغم من أنَّ هذه الحكاية مصطنعة فشخصية هذا المجنون هي شخصية بطل المقامات الوهمي (أبو الفتح الاسكندري)، إلَّا انَّ ما يهمُّ هو المضمون الفلسفي العقائدي الذي يحاول الراوي تمريره من خلال شخصية المجنون .

وقد تأتي الحكاية لغرض افحام الخصوم لا سيما من المتكلمين كما في هذه الحكاية: ((روي عن ثمامة بن الأشرس قال: دخلتُ دير هزقل فرأيتُ شاباً مشدوداً إلى سارية. فقال: من أنت؟ قلتُ: ثمامة. قال: المتكلِّم ؟قلتُ: نعم. قال: فعمد إلى كوز فيه ماء فصبّهُ ثم قال: أين ذهب هذا الماء؟ قلتُ: أجتذبته الأرض للحرارة. قال: فينبغي أن تفور الأرض في الشتاء عيوناً . قال: فافحمني . قلتُ له: فما تقول: فقال كل شيءٍ يذهب الى شكله، الماء الذي تحت الارض اجتذبه الى نفسه، ثم قال: يا ثمامة هل للنوم لذة؟ قلتُ: نعم . قال: متى يجدها صاحبها؟ إن قلت قبل النوم احلت، وان قلت مع النوم اخطأت لأنَّه ذاهب العقل، وإن قلت بعد النوم أخطأت لأنَّه قد أنقضى . قلت: فما تقولُ أنت؟ قال: إن النعاس داءٌ يحلُّ بالبدن دواؤه النوم))[59].

ومن الحكايات ما يبرر فلسفة المجنون الذاتية، كما تصوره هذه الحكاية: ((قال أبو محمد بن عجين : مرَّ بي مجنونٌ فقلتُ يامجنون قال: وأنت عاقل؟ قلتُ نعم. قال: كلا يا مجنون ولكن جنوني مكشوف وجنونك مستور قلتُ: فسّر لي، قال: أنا أخرّق الثياب وارجم وأنت تعمر داراً لابقاء لها وتطيلُ أملك وما حياتك بيدك وتعصي وليك وتطيعُ عدوك))[60]

وبشكل عام فإنَّ هذه الحكايات وإن اختلفت في موضوعاتها الفلسفية فإنَّها تشترك جميعاً برابط يؤطرها جميعاً، وهو أنَّ جنون هؤلاء العقلاء هو لفرط عبقريتهم ونبوغهم، حتى أنَّ الجاحظ قد وصف أحدهم بقوله: ((وأما أبو ثيس الحاسب فإنَّ عقله ذهب بسبب تفكره في مسألة...))[61] وليس ذلك بغريب في مجتمع أنصهرت في كيانه مسائل الفلسفة والمنطق بعد تحوله من مجتمع الفطرة الى مجتمع العقل .

البناء الفني للحكايات :

- **اللغة :**

حين ننظر في حكايات عقلاء المجانين لكشف خصائصها اللغوية فإنَّ أوّل ما نلاحظه على لغتهم أنَّها هي اللغة الأدبية التي عرفها العصر العباسي، بكل ما تحمله هذه اللغة من خصائص، وهذا أمر طبيعي؛ لانَّ اغلب هؤلاء المجانين هم شعراء وأهل علم وفقه، فقد عرفوا مكامن السحر في اللغة، وادركوا قدرتها على استيعاب الافكار والعواطف فاستعانوا بها على تصوير افكارهم . فكانت لهم غايات يطمحون لإيصالها، واللغة هي الوسيلة في ذلك.

ولما كان يحمله هؤلاء المجانين من دور الناصح والموجه، أو صاحب الاعتقاد والمذهب الذي يدعو الناس الى اعتناقه، فكان طبيعياً ان يتبسط في الحديث؛ لهذا خلصت لغتهم من الغرابة والتعقيد، فمن حيث المفردة نجد أنَّ أكثر المفردات التي اتضحت في حكايات المجانين هي مصطلحات ومفردات صوفية (العشق، الشوق، الهوى، ...) فهذا ذا النون المصري يقول: ((رأيت ولهان يطوف حول البيت –وكان ذاهب العقل– وهو يقول: شوقُك قَتَلَني، وحبُّك أَقلَقَني، والاتصال بك أسقمني . فقدتُ قلباً يحب غيرك ، وثكلتُ خواطر تُسرُّ بسواك .))[62]

وها هي مصطلحات الصوفية من شوق، وحب، واتصال تنبئ عن بحث ذلك المجنون عن الله في تجربة اقرب ما تكون الى تجربة الفناء الصوفي. وينقل عن اسحاق ابن ابراهيم الأُبُلّي أنَّه قال: ((رأيت غَورَك يوماً خارجاً من الحمّام والصبيان يؤذونه .

فقلت: ما خبرُك أبا محمد؟ قال: قد آذاني هؤلاء الصبيان، أما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون؟ قلت: ما أظنّك مجنوناً . قال: بلى والله بي عشق شديد .))[63]

ولا شك أنَّ مبادئ الصوفية وسيرهم كانت ملء اسماع هؤلاء المجانين وفيهم من قد عاصروه ومنهم من كان قريب عهد به، فالعشق هنا عشق صوفي اذ انصرف المجنون بكيانه ومشاعره كلها نحو الذات العليا .

وقد ظهرت بعض المفردات العامية في الكلام، وابرز ما تمثّل ذلك باستعمال كلمة (أيش) المنحوتة من (أي شيء) مما هو شائع في لغة العامة في العصر العباسي، فهذا زهير بن حرب يقول: ((أمر موسى الخليفةُ بإحضار عليّان وبهلولٍ فأُحضرا، فلما دخلا عليه قال لعليّان : أيش معنى عُليّان ؟ قال عليّان : فأيش معنى موسى أطبِق؟ [64] قال موسى: خذوا برجل ابن الفاعلة . فالتفت عليان إلى بهلول وقال: خذها إليك، كنّا أثنين فصرنا ثلاثة !))[65] فضلاً عن ذلك كان للألفاظ الأعجمية حضوراً في الحكايات ربما يكون ناجماً من تأثير الاختلاط اللغوي مثل: ((السرقين: بمعنى الزبل معربة، دهن شيرج: وهو دهن السمسم فارسية، الهليج: دواء معروف معرب، فالوذج: ضرب من الحلوى فارسية، كُسباً: عصارة الدهن فارسية ...))[66] يضاف الى ذلك أنَّ المجنون احيانا لا يتحرج من ذكر بعض الالفاظ نحو (ابن الفاعلة ، وابن الزّطية ...) فهذا رجل انصاري يقول لقديس المعتوه: ((أنت تعدو من الصباح الى الرواح، أيوجعك جسدك اذا جاء الليل ؟ فقال :

إذا الليل ألبسني ثوبه تقلّب فيه فتىً موجَع

فقلت: أسألك عما تشتكي فتنشدني الشعر ؟ فقال: يا بن الفاعلة قد اجبتك . فقال الانصاري : أتسبني وأنا سيد من سادات الانصار؟ فقال :

وإنَّ بقومٍ سَوَّدوك لحاجةً إلى سيّدٍ لو يظفرون بسيّد

ثم ضرط في يده وقال : هذا الجواب المقشّر))[67] ورغم كل ما تقدم ذكره لم تخل هذه المفردات بفصاحة حكاياتهم .

- **الاقتباس القرآني :**

يشكل القرآن مصدراً مهماً من المصادر التي أستفاد منها المجانين في حكاياتهم، وقد أكسبها قوّةً وفاعلية؛ لما يتمتع به من قوّةٍ تأثيريةٍ عظيمة بحيث يستطيع التأثير في المتلقي، وهم يستثمرون الآيات في محاولةٍ لإسقاطها على أزماتهم الخاصة. فالمجنون تارةً يستوحي مضمون الآية أو فكرتها الأساسية، وتارةً يستدعي بعض المفردات

والتراكيب القرآنية، وتارةً أخرى يشير إلى حوادث أو شخصيات تحدّث عنها القرآن الكريم، وأكثر ما نجده في هذا الشأن أنه يعمد إلى نصٍّ قرآني مستقل دون أن يغير في بنيته الأصلية.

فهذا سعدون المجنون يكتب الى جعفر المتوكل يقول له: ((يا أخي أمّا بعد فإنّك قد طمعت في الحياة ونسيت تراصف الاقدام وتطاير الصحف في الشمائل والأيمان. فاذكر حسرتك عند انكشاف الغطاء واقرأ: ((فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)) (المؤمنون: 101)))[68] فالنص هنا مبني على أساس جملة من المفردات التي توحي أغلبها على آيات من القرآن الكريم فـ(تطاير الصحف) مستوحاة من النص الكريم: ((وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ))(التكوير:10) و (انكشاف الغطاء) من الآية: ((لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))(ق: 22) . فاستدعاء لغة القرآن واضحةً بمضمونها الفكري، والقراءة لهذه اللغة تجلت عند المجنون من خلال الربط بين نصوص القرآن والفهم لأحوال يوم القيامة؛ لتكون هذه مقدمات لطرح الآية الكريمة ((فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)) وهذا التلميح ليوم القيامة جعله يقتطع مقدمة الآية ((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ)) فضلاً عن ذلك ان البؤرة للحكاية التي يريد المجنون التأكيد عليها وهو يعظ الخليفة ((لَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ)) وكل هذا جاء من أدراكٍ عالٍ للغة القرآن عند المجنون .

ولعل ما نجده في لفظة (سقى) وتصريفاتها الواردة في بعض الحكايات توحي بدلالاتٍ قرآنية واضحة ، فهذا (مالك بن دينار) يقول : ((أصاب الناس بالبصرة قحط شديد فخرجنا نستسقي وما تزداد السماء إلّا صحواً، فإذا أنا بسعدون في بعض تلك الخرابات فقلت له: بالذي خلقك ان تستسقي لنا . فرفع رأسه الى السماء وقال : يا فاطر الاشباح والارواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الإصباح، بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك ولا تهلك بلادك بذنوب عبادك . قال مالك: فما استتم كلامه حتى أرخت السماء عزاليها وجادت بوابلها))[69] فلفظة (نستسقي أو تسق لنا) تذكرنا ببعض الآيات التي تتحدث عن نبي الله (موسى) عليه السلام سواء القصة التي يذكرها (الله) عز وجل في القرآن مع المرأتين أو مع قومه[70] فضلاً عن ذلك أن الناس بالبصرة ما أصابهم القحط إلّا بما كسبت أيديهم؛ لهذا يقول (سعدون المجنون): ((لا تهلك بلادك بذنوب عبادك)) وهنا موضع الشاهد للآية الكريمة: ((وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا))(الجن: 16) وإذا كان (موسى) استسقى لقومه كما في الآية الكريمة: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ

أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا))(الأعراف: 160) وهذا بيان على ان المجنون يجد نفسه الموجه والناصح ليكون بمرتبة (موسى) من قومه، وفي ذلك فهم ودراية للقرآن الكريم من قبل المجنون وهو يوظف مفرداته .

وقد تدخل بعض التراكيب القرآنية إلى الحكايات وتأخذ نمطاً من التعبير، فهذا (سعدون المجنون) يكتب إلى بعض الخلفاء: ((أما بعد فإن الله أخذ على السماوات والارض والجبال عهداً فأودعه أياهن؛ فأما السماء فتناثرت نجومها وانطمس شمسها واضمحلّ قمرها وتراصدت أقدام سكانها وارتعدت اكنافها. وأمَّا الارض فانزوى اطرافها واكدودر ماؤها وتناثر اوراق شجرها وأغصانها وثمارها. وأمَّا الجبال فتجلمدت شوامخها وسالت اوديتها أرتعاداً وانتفاضاً من شدة الامانة التي كُلِّفتها. وأنت في ضعف حيلتك وبلادة خواطرك وعجزك قد كلّفت الأمانة فما تحرّك عليك عضو ولا تزعزع منك مفصل . قد ركنت بجانب مخادعك وجعلت الدنيا نزهة بطالتك، فانتبه من رقدة الوسن قبل أن يكتنفك الحزن والسلام))[71] ويتجلى في هذه الحكاية فاعلية الامتصاص لبعض التراكيب القرآنية التي وظفها المجنون بشكل يثير في نفس المتلقي قدرة ايحائية خاصة تمكنه ان يستجلي ثقافة ذلك المجنون ومدى تأثره بالنص القرآني من خلال تناصه مع الآية الكريمة : ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))(الأحزاب: 72)وهذا التوظيف للنص القرآني باستخدام هذه الصور المستوحاة من أجل شحن الموقف والتأثير في المتلقي؛ ليعبّر عن هول المأساة وتصوير التناقض الذي تعاني منه النفوس البشرية .

أما المحور الآخر من محاور استدعاء القرآن الكريم في حكايات عقلاء المجانين فيتمثل بوجود آية أو جزء من آية يوضع بين علامتي تنصيص، وقد تعددت دلالات توظيف النص الكريم في هذا المجال، فقد يستدعي المجنون النص القرآني لخلق نوع من التداخل والانسجام بين الحكاية وبين التعابير؛ فيقال: انَّه ((حمل الصبيان يوماً على بهلول فهرب منهم فدخل داراً لبعض القرشيين مفتوحة الباب وردّ الباب . وخرج صاحب الدار فرآه فدعا بطبق عليه طعام ، فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول: ((فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ))(الحديد: 13)))[72] وهنا يستعير المجنون النص القرآني؛ لخلق نوع من التداخل والانسجام بين الحادثة التي مرّ بها وبين ذلك النص الكريم؛ نظراً للرؤيا التي يحملها لجعل الحادثة فيض من الدلالات المعبّرة وهو يعلم مناسبة النص فالاستشهاد كان مقصوداً .

- **اسلوب الاستفهام :**

ان المعاني الدائرة في وجدان المجنون تدفعه للبحث عن تركيب لغوي ملائم لوتيرة الاحساس بتلك المعاني وكان في مقدمة التراكيب توظيفه لأسلوب الاستفهام الذي تحمل ادواته كثيراً من المعاني البلاغية والاشارات النفسية؛ لهذا تأسس عدد غير قليل من الحكايات بهذا الأسلوب، والظاهر فيها انَّ الحكاية تسخّر بالسؤال والجواب لتكون مختومة برأي أو حكمة أو اعتقاد ذلك الشخص المجنون، فيقال انَّ المتوكل سأل سعدون المجنون فقال: ((يا سعدون بلغني انَّك ثنوي تقول: السماء خالية بلا مدبّر . فقال له: يا متوكل أسألك عن شيء تخبرني به؟ قال: نعم . قال من جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارات الدماغ ؟ قال: الله. قال: فاخبرني من مدّ حاجبيك فأنبت عليهما الشعر ؟ قال: الله . قال: فأخبرني من خرق السمعين خرقاً فجعل فيهما سمعاً؟ قال: الله. قال: فاخبرني من فتق العينين وجعل الحدقة بياضاً وجعل وسطها سواداً؟ قال: الله . قال: فمن جعل فيهما ماءً عذباً وملحاً؟ قال: الله . قال: فمن جعل العذب في البياض والملح في السواد ؟ قال: الله . قال: فمن ألزم القدمين الساقين فجعلهما أسطوانة الركبتين ؟ قال: الله . قال: فمن شدّ الحقوين بالوركين؟ قال: الله . قال: فمن عرّفك ان تقول الله؟ قال: الله . قال: فكيف أقول السماء بلا إله))[73]

نجد انَّ الحكاية مبنية على اساس السؤال والجواب، وما هذا التركيز والالحاح بتكرار اداة الاستفهام (من) إلّا ليقف عند قضية عقائدية تمثّل منطلق ذلك المجنون، فاراد تقرير المعنى وتثبيته، لا سيما وهو يوظف الاداة (كيف) في جوابه الذي يختلط فيه الإنكار بالتعجب (فكيف أقول السماء بلا اله؟) فهو هنا اراد القول: لا أقول السماء بلا اله. فأسلوب الاستفهام يحمل هنا دلائل وقرائن واشارات نفسية . والملاحظ أنَّ اغلب هذه الحكايات تكون مختومة برأي المجنون، فهذا عبد الرحمن الكوفي يقول: ((لقيني بهلول المجنون فقال: أسألك؟ قلت: سل . قال: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء . قال: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة الى طاعة الله . قال: فتريدون منه الجزاء ؟ قلت: نعم بالواحدة عشراً . قال : ليس هذا سخاءً، هذا متاجرة ومرابحة . قلت: فما هو عندك؟ قال : لا يطّلعُ على قلبك وانت تريد منه شيئاً بشيء))[74] فالجواب هو البؤرة التي تقوم عليها الحكاية، وربما كثرة الأجوبة والمحاورات في هذه الحكايات تفرضه رؤية هؤلاء المجانين الذي يغلب عليها الإيجاز، وقد يثير الجواب سؤالاً آخر، أو استدراكاً أو تعقيباً أو استزادة من السائل، فيخرج النص من كونه جواباً الى أن يصبح محاورة يكون الجواب نواتها .

- **التقابل بالتناقض والتضاد:**

إنَّ المجنون حاول في بعض حكاياته أن يركّز على العناصر الشعورية والنفسية؛ ليعبّر عن الصراع والاضطراب الذي اصبح المجتمع يعيشه مستغلاً بذلك مظاهر التناقض في الحياة في تشخيص هذا التوتر، فهذا بهلول يُسمعُ شخصاً قد بنى داراً كتاباً قد جاء فيه: ((هذا ما اشترى العبد الجافي من الربّ الوافي؛ أشترى منه هذه الدار بالخروج من ذلّ الطمع إلى عزّ الورع، فما أدرك المستحق فيما اشتراه من دركٍ فعلى المولى خلاص ذلك وتضمينه إياه . شهد على ذلك العقل وهو الأمين والخواطر ، وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة. أحد حدودها ينتهي إلى ميادين الصفاء، والثاني ينتهي إلى ترك الجفاء...))[75]

ويمكن ان نقف من خلال هذه الحكاية بين طرفين متقابلين هما (الدنيا ، والآخرة) ولكن بمفردات متناقضة ليؤكد حالة من التضاد بين أمور الدنيا وكسب الآخرة فنجد (العبد الجافي والرب الوافي) (ذل الطمع وعز الورع) (إدبار الدنيا واقبال الآخرة) وهذا يعبر عن احساس حاد بالواقع وبمفارقات الحياة وفق رؤيا ذلك المجنون من جهة وبما تمليه عليه ذاته التي تعيش القرب من الله من جهة اخرى، ولعلنا نجد في كثير من الحكايات ما يؤكد ذلك[76] فهذا ابن عجيف البغدادي يقول: ((مرّ بي مجنون بواسط فقلت له: يا مجنون. فقال لي: وانت عاقل ؟ قلت : نعم . قال : كلانا مجنون . قلت : وكيف ؟ قال: جنوني مقشّر وجنونك مجلّد . قلت : فَسِّر لي. قال : أنا أُخَرّق الثياب وأرمي وأُسمِعُ ، وأنت تَعمرُ داراً لا بقاء لها والله يريد تخريبها، وتطوّل أملك وليس حياتك بيدك ؛ وتعصي الرحمن وهو وليّك ، وتطع الشيطان وهو عدوّك))[77] فنجد ان الحكاية قائمة على اساس طرفين من يدّعي الجنون ويعمل عمل العقلاء وأهل الحكمة ، ومن يعتقد بأنَّه عاقل ويعمل عمل من لا عقل له وفق رؤيا ذلك المجنون، ويبدو أنَّ حكمة ودراية ذلك المجنون جعلته يكشف هذا التناقض الذي وقع فيه هذا البغدادي ، بالعصيان لمن هو وليه ! أوبالإطاعة لمن هو عدوه! وهذا في حد ذاته تناقض لا يقوم به إلّا من هو فاقد لعقله وصوابه . ويبدو ان واقع الحياة التي عاشها المجنون جعلته يبني حكاياته على هذا الأسلوب، من خلال التركيز على العناصر الشعورية والنفسية التي تكشف عن التفجع والاعتراض، وتعبّر عن الصراع والاضطراب الذي اصبح المجتمع يعيشه، مستغلاً بذلك مظاهر التناقض في الحياة في تشخيص هذا التوتر .

- **السجع :**

من المحسنات البديعية التي احتلت مكاناً بارزاً في حكايات عقلاء المجانين هو (السجع) من حيث توافق الفاصلتين في فقرتين أو أكثر في الحرف الأخير ، ومثّل سمة

واضحة في تلك الحكايات؛ ويمكن رد ذلك الى جملة اسباب منها: أنّه يمثّل مظهراً من مظاهر تأثر اصحاب الحكايات بالقرآن الكريم الذي ضمّ كثيراً من الجمل القصيرة المسجوعةفي آياته، وشيوع السجع لدى الكتاب بعامة في القرنين الثالث والرابع فضلاً عن ذلك أنَّ السجع يساعد على ترسيخ الفكرة لما يحدثه من نغم موسيقي يثير النفس وتطرب اليه الآذان إذا جاء غير متكلف، وبذلك يزيد التعبير قوةً وتأثيراً ووضوحاً، وهذا ما سعى اليه المجانين في حكاياتهم ، التي تقع في أغراض الوعظ والإرشاد والتهديد والوعيد والترغيب والترهيب . فهذا (عبيد المجنون) يقول: ((عجبت ممن خَلَقه الله بشراً سويا، وجعل له عقلاً سنياً، وبصراً مُضيّا، كيف تهدأ جوارحه، وكيف لا تنوح عليه نوائحه))[78] فرغم تعدد السجع في هذه المقولة إلّا أنّنا لا نجد صنعة فيه ولا كلفة ولا عناء، بل أنَّ تعدد الفاظه قد احدث ايقاعاً واضحاً من خلال تتابع الجمل القصيرة المسجوعة التي ازادت التعبير قوةً وتاثيراً ووضوحاً . فـــ (عبيد) الذي افترش التراب يبكي وقد سئمت روحه من الدنيا وعلت، ليرى ما لم يره الآخرون؛ وبذا كانت المناسبة لإبراز التعجب وبالمحسنات اللفظية، فكان السجع منسجماً مع جو المعنى الذي يريد التعبير عنه؛ لهذا جاءت حكاية (عتاهية المجنون) تحمل الترغيب والترهيب إذ يقول : ((تنبّهوا عن رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة، واعملوا في اعداد العُدّة قبل انقراض المدّة، واعلموا أن آجالكم منقوصة، واعمَالكُم محفوظة، والموتَ يأتي بغتة))[79] .

وقد تعددت الأغراض التي يرد فيها السجع داخل الحكايات، وكان الدعاء من بين أهم تلك الأغراض فهذا (أبو همّام اسرائيل بن محمد القاضي) طلب من (سابق المجنون) كلمات يدعو بهنّ، فقال له المجنون: ((اللهم اجعل نظري عِبرَةً وسكوني فكرةً وكلامي ذِكراً))[80] حيث اختزل المجنون جملة أمور في سياق كل عبارة من عبارات الدعاء المبنية على أساس توافق حرف (الراء والتنوين) في كل كلمة من (عبرة وفكرة وذكرا) وهذا قد اعطى الدعاء تناغماً وترابطاً يجعل النفس ترغب اليه وتستأنس في سماعه وهو بحد ذاته هدف يطمح اليه المجنون .

وقد نجد السجع مبنياً على اساس السؤال والاستفهام، يقول سعدون المجنون:((يا ذا النون متى يكون القلب اميراً بعد ان كان اسيراً))[81] فيظهر للايقاع القائم بين كلمتي (اميراً واسيراً) أثر في نفس المتلقي ينسجم مع جو المعنى الخاص الذي يريد المجنون التعبير عنه ، وبذلك ساعد على ترسيخ الفكرة لاسيما وهو يرد طبيعياً من غير تكلف او تصنع؛ لذا كان السجع مقصوداً في اغلب حكايات المجانين مما اضاف اليها جمالاً وقوة .

الهوامش:

(1) ينظر: عقلاء المجانين: لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ت 406ه، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ط1، 2005 م، 39 .

(2) أخبار الحمقى والمغفلين: الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت597ه)، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990م، 23

(3) ينظر: الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع: أحمد خصخوصي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط1، 1993، 65

(4) ما هو التصوف : الشيخ امين الشيخ علاء الدين النقشبندي ، ترجمة : د. محمد شريف احمد ، تقديم : العلامة الشيخ عبد الكريم المدرس، رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (1091) لسنة 1988 م ، 25.

(5) عقلاء المجانين: 44

(6) م.ن: 175

(7) البيان والتبيين: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي/القاهرة، ط7، 1998م، 2 / 349 – 350 .

(8) عقلاء المجانين والموسوسين : لابي محمد بن الحسن بن اسماعيل الضراب ت392ه ، تحقيق : ابراهيم صالح ، دار البشائر ، دمشق ، ط1 2003 م ، 21 –22 .

(9) عقلاء المجانين: 42

(10) م.ن: 159

(11) م.ن: 160

(12) آثار صوفية في شعر المتنبي : د. محمد ابو المجد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2008 م ، 13 .

(13) عقلاء المجانين: 180

(14) م. ن: 109

(15) ينظر: م.ن: 82، 114 .

(16) م. ن : 75 .

(17) م.ن: 77 .

(18) م.ن : 75–76 .

(19) م. ن : 139 .

(20) م. ن : 157

(21) التذكرة الحمدونية : ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت562ه)، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، 1996م، 9/ 456، وينظر: نثر الدر في المحاضرات : لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي (ت421ه)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 2004 م، 3 / 180 .

(22) البين والتبيين: 227/2 .

(23) عقلاء المجانين: 95 .

(24) ادب النادرة في النثر العباسي : رسالة ماجستير ، اديب غازي عبد الحسين ، اشراف : د. مزاحم مطر حسين ، جامعة القادسية ، كلية التربية 2011م ، 53 .

(25) عقلاء المجانين: 147 .

(26) ينظر: م.ن: 41 .

(27) م.ن: 48 .

(28) م.ن: 122–123 .

(29) البيان والتبيين: 229/2 .

(30) عقلاء المجانين والموسوسين: 32 .

(31) م.ن: 34 .

(32) عقلاء المجانين: 104 .

(33) م. ن : 132–133 .

(34) ينظر: م.ن: 155 .

(35) البيان والتبيين: 227/2 .

(36) الحمق والجنون في التراث العربي: 176 .

(37) عقلاء المجانين: 124 .

(38) نثر الدّر: 187/3 .

(39) ينظر: عقلاء المجانين: 91، 124، 181 .

(40) الحمق والجنون في التراث العربي: 187–188 .

(41) الشعر لعنترة ،ينظر: شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، قدم له: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م، 119.

(42) عقلاء المجانين: 194 .

(43) م. ن: 133 والشعر في ديوان جميل (شعر الحب العذري) / جمع وتحقيق وشرح : دكتور حسين نصار / دار مصر للطباعة ط2 ، 1967م، 25.

(44) م.ن: 191–192 .

(45) م.ن: 155 .

(46) تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي: ميشيل فوكو ، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006م، 392 .

(47) البيان والتبيين: 228/2 .

(48) ينظر: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي : 392 .

(49) عقلاء المجانين: 45 .

(50) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني : لابي الفضل احمد بن الحسين الهمذاني ت398ه ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العالمية ، بيروت 1979م ، 93 – 94 .

(51) خطاب الجنون في الثقافة العربية : محمد حيان السمان ، دار رياض الريس ، لندن 1992م، 63 .
(52) شعر الموسوسين في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (اطروحة دكتوراه) علي كاظم المدني ، اشراف : د. سعيد عدنان المحنة، جامعة القادسية ، كلية التربية 2011 م ، 42 .
(53) ينظر: عقلاء المجانين والموسوسين: 30 .
(54) عقلاء المجانين: 92 .
(55) م.ن: 93 .
(56) م.ن: 92 .
(57) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري: د. وليد قصاب ، دار الثقافة/الدوحة، 1985م، 14 .
(58) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني : 152– 155 .
(59) عقلاء المجانين: 233 .
(60) أخبار الأذكياء: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت597ه)، تحقيق محمد مرسي الخولي 1970م، 206 .
(61) البيان والتبيين: 228/2 .
(62) عقلاء المجانين: 156 .
(63) م.ن: 178 .
(64) كان موسى الهادي يسمى: ((موسى أطبق)) لان شفته العليا كانت تقلص، وكان ابوه وكل به منذ صغره خادماً ينبهه كلما رآه مفتوح الفم قال : موسى ... أطبق ، فيفيق ويضم شفتيه ، فشهر بذلك . ينظر : عقلاء المجانين : 113
(65) عقلاء المجانين: 113 .
(66) ينظر : م . ن : 144 ، 158 ، 166 ، 168 ، 221 ، 303 ....
(67) م.ن: 120 .
(68) عقلاء المجانين: 84 .
(69) عقلاء المجانين: 79 .
(70) القصص: 23، البقرة: 60 .
(71) عقلاء المجانين: 85 .
(72) عقلاء المجانين: 102 .
(73) م.ن: 88 .
(74) م.ن: 95–96 .
(75) م.ن: 98 .
(76) ينظر: م.ن: 102، 155، 156، 166، 170، ...
(77) م.ن: 218 .
(78) م.ن: 166 .
(79) م.ن: 170 .
(80) م. ن : 150 .
(81) م. ن : 77 .

Abstract

The transformation of the society in the Abbasid era from instinct to reason has influenced the clarity of the philosophical dimension of the tales of the wise men of the insane, those tales that identified an important social aspect of that era, which is madness based on science and culture and broad intellectual convergence on the one hand and on the basis of achieving social justice from On the other hand, most of them are padded with criticism of the social reality, which confirms that they were issued by personalities with literary and monetary capabilities. It also portrayed the axioms and improvisations in the literary aspect, especially the poetry, expressing the literary spirit and the cultural atmosphere that prevailed in the Abbasid period. By the research, it was carrying the contents of intellectual symbols can be seen through the part of the past and benefit from, and it turned out that the most based on the religious aspect of asceticism and mysticism and governance and preaching, and showed that the reality lived by the madness and spiritual dimension, which seeks to stay away from this Reality has made it live a contradiction and this was evident in the artistic construction of the tales.

Keywords: (Tales, Minds, Madmen)